

تهذيب فصل المحبة من كتاب الشرك ومظاهره

هي من المعاني التي يلتبس شرعيّتها بشركيّتها، وهي عقيدة باطنة، وهي تدرج ضمن مباحث الولاية والكرامة وما يلابسها من كهانة وسحر، وما يلابس السحر من الرقى والتهايم، ثم تعقبها بمظاهر الشرك القولية كالدعاء والفعلية كالزيارة والمالية كالذبائح.

■ المعنى اللغوي للمحبة:

المحبة تستعمل لغة بإزاء عدد من المعاني؛ وترجع جميعها إما إلى:

الصفاء والبياض، وإما إلى العلو والظهور، وإما إلى اللزوم والثبات، وإما إلى الأصل واللبّ، وإما إلى الحفظ والإمساك، وهذه المعاني كلها لازمة للمحبة.

وفرق أبو هلال العسكري بين المودة والمحبة؛ فالمحبة يوجبها ميل الطبع أو الحكمة، فتقول: أحبّ الرجل وأحبّ الصلاة، ويختص الودّ بميل الطبع؛ فتقول: أودّ الرجل، ولا تقول: أودّ الصلاة.

وفرق بين المحبة والإرادة؛ فالإرادة تتعلق بالشيء لذاته، والمحبة تتعلق به لمعنى، فتقول: أحببت زيدا، ولا تقول: أردته.

■ أوجه المحبة:

وهي ثلاثة أوجه:

- ١ - محبة اللذة: كمحبة الرجل للمرأة، ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ الإنسان: ٨
 - ٢ - محبة للنفع: كحبه شيئا ينتفع به ومنه؛ ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾
 - الصف: ١٣.
 - ٣ - ومحبة للفضل: كمحبة أهل العلم بعهم لأجل العلم.
- وربما فسّرت المحبة بالإرادة في نحو قوله تعالى: ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا﴾ التوبة: ١٠٨، وليس كذلك؛ فإن المحبة أبلغ من الإرادة؛ فكل محبة إرادة وليست كل إرادة محبة.

■ ثمرة المحبة الدينية:

قال في «مدارج السالكين» معرّفا المحبة: "هي إرادة غرست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة".

والمحجوب بهذه المحبة هو الله أو غير الله، ومحبة الله من أسباب انشراح الصدر، ومحبة سواه مما يعذب القلب.

■ حكم المحبة الدينية:

وهي إما واجبة تبعث على امتثال الأوامر والانتها عن المعاصي والرضى بما قدره الله، والتقصير فيها يوقع في ترك الواجبات.

وإما مندوبة وهي تحمل على فعل المندوبات وتجنب الوقوع في الشبهات، ومثل هذا محبة الرسول ﷺ، وتزید عليها ألا يتلقى المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقه ويرضى بما شرعه من غير أن يجد حرجا.

وعلامة هذه المحبة أن استكمالها يؤدي بالعبد إلى أن يقدم حق الله وحق الرسول ﷺ على حقوق ما سواه من الأب والأم والولد وجميع الناس، ويحمل العبد على أن يذب عن الشريعة ويتخلق بأخلاق النبي ﷺ.

■ المحبة في الله ومع الله:

المحبة في الله أن تحب من يحبه الله، والله يحب المحسنين، ويجب المتقين، ويجب التوابين، ويجب المتطهرين.

والمحبة صفة لله قائمة به من صفات الأفعال الاختيارية.

وينفي الأشاعرة هذه الصفة بزعم أنها تعني الميل إلى الملاذ؛ فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون أن معنى محبته إرادته لإكرام العبد وإثابته، وبهذا يؤولون صفة الرضى والغضب والكراهية والسخط.

أما المعتزلة فلا يثبتون الإرادة؛ ويقولون أن المحبة هي نفس الثواب الواجب -عندهم- على الله.

وهذه المحبة في الله لا تتنافى مع محبة الله؛ بل هي مقوية لها ومعضدة.

أما المحبة مع الله فهي تعلق القلب بسواه؛ فيغفل عنه ويتوجه إلى غيره بالرغبة والرغبة.

والمحبة في الله تتعدى لكل الرسل والأنبياء والأولياء.

